الذكر المخلَّد

في سيرة السيد جرمانوس معقَّد

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ثلاثة اشهر بنيف مرَّت علينا منذ حلول تلك الرزية المؤلمة التي اجفتنا على غير انتظار فكانت لوعتها اشدّ وامرّ في القلوب نعني بها وفاة فقيد الكنيسة والوطن السيد الجليل والحبر المفضال كيريوس جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية شرفاً من امثل اساقفة طائفة الروم الكاثوليك الكريمة

ومع خمود مضض الآلام على فقده قد زادت كرامتهُ في العقول وظهرت مبرّاتهُ العظيمة في اعين القريب والبعيد حتى تمنى الجميع لو أُفردت له ترجمة واسعة شاملة لاعمال حياته ليبقى ذكر الصدّيق مخلّدًا ويُنصب السراج على المنارة فيضيء لجميع من يحبون الاستنارة بانواره

واذ قد حظينا بمعرفة ذلك الاسقف الجزيل الفضل لم نزل منذ نُعي الينا نترصَّدُ الفرصة لندوّن على صفحات المشرق خلاصة سيرته ريثما يتمنى ابناؤهُ المرسلون البولنسيون بتفاصيل حياته. وقد جمعنا ما ننشرهُ هنا عن اصدق الموارد واثبت الشهود العيانيين الذين عاشوا بجوار المثلث الرحمات السيد جرمانوس شاكرين لكلّ من اتانا ببعض المعلومات الآتية

ونقسم هذا النظر الاجمالي الى اربعة فصول نخصّ الاوَّل بتعريف الرجل والثاني بالكاهن والاسقف والثالث بالواعظ والكاتب والاخير بالرسول في قولهِ

١ تعريف الرجل

ولد السيد جرمانوس في دمشق الشام من ابوين صالحين عيسى معقد ومريم خيَّاطة من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك وسمي يوسف. امَّا سنة مولده فاختلفت فيها الجرائد والمجلّات فقيل ١٨٥٠ وقيل ١٨٥٢. ولدينا ما يزيل الشك في ذلك وهو تاريخ عماده المدوَّن كما افادنا عنهُ حضرة الايكونومس انطون زيادة نقلًا عن

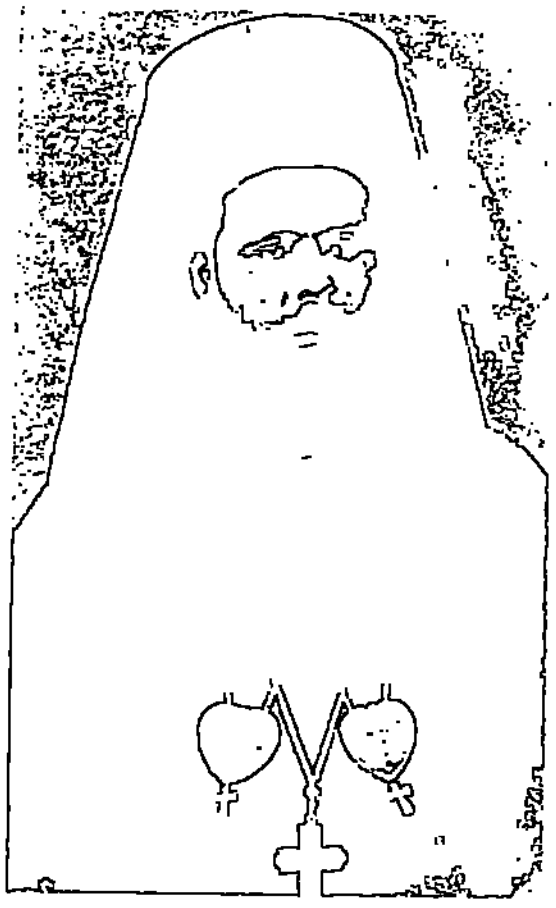

الطبيب الذكر

السيد جرمانوس معقد (١٨٥٣ - ١٩١٢)

دفتر العماد حيث ورد ما نصهُ: «في ٤ نيسان سنة ١٨٥٣ تعمد يوسف بن عيسى معقد عنده الخوري انطون كسّاب وكان الاشبين عم المولود داود معقد». وهذا التاريخ قد روي في مجلة اصداء الشرق (٨: ٢٣٠) كتاريخ يوم مولده ولعلّهم عدُّوا يوم ولادتهِ بالروح كيوم ولادتهِ الجسديَّة

نشأ الولد في حجر والديهِ تقيًّا مائلًا الى البرّ. واذ لم يكن آنئذٍ في دمشق غير المدارس الابتدائيّة تردَّد الى مدرسة طائفتهِ في باب المصلّى فاتقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب على معلّميهِ الفاضلين الخوري متري قزح والخوري فيلبس غرّة. وظهر كفؤهُ مذ ذاك الحين بخدمة الرتب الدينيَّة

ولمّا انهى دروسهُ الابتدائيَّة دخل بصفة كاتب في مخزن التاجرين دالاتي وجنال وعمرهُ ١٢ سنة. وكان هناك مثال النشاط والاستقامة. اخبرنا الثقة انَّ احد معلميه في المحل امرهُ ان يقيد على رجل قفّة ارز لم يشترها فنبّههُ الكاتب على ذلك فلم يقنع فترك حينئذٍ يوسف معقّد المخزن واعلم الرجل المظلوم

واذ كان يوسف نشيطًا محبًّا للشغل لم يشأ ان يبقى باطلًا فاستخدم عند احد الصاغة وبقي مدَّة يشتغل بلا أجرة ولكن برّهُ بوالدتهِ حملهُ على ان يقضي بعض ساعات الليل في الشغل مع اخيهِ ليقوم بمعاشها وبقي على ذلك ثلث سنوات

وكان في غضون استخدامهِ مثابرًا على اعمال التقى قدوة لعمّة الشبّان يحضر كل يوم الذبيحة الإلهيَّة ويخدمها كألوف عادتهِ وكان تقرّبهُ من الكهنة ورهبان دير المخلّص الفضلاء يزيدهُ سأمًا من الدنيا ورغبةً في الزهد بها حتى تحقَّق انَّ الله يدعوهُ الى التوحّد وتبيَّن دعوتهُ مرشدُ ضميرهُ فكاشف والدتهُ بما في نفسهِ واذ رآها تمانعهُ سعى غير مرَّة بالفرار من وطنهِ سرًّا فتحول الظروف دون اتمام رغبتهِ

على انَّ الشاب الحازم لم يجهل انَّ ملكوت السماء تُغتصب وانَّ الغاصبين يفوزون بها فلم يزل مصرًّا على نيتهِ وكان يكرّر لخالهِ جرجس عبيد خيّاطة: «اني لا اجد راحةً في العالم فاتوق الى الرهبانيَّة من كل قلبي». فثبت على عزمهِ حتى سنحت لهُ الفرصة فولّى هارباً وواصل السير ليلًا مع نهار حتى بلغ دير المخلّص في جوار صيدا. وطلب من الاب العام الذي كان وقتئذٍ الخوري الفاضل يوحنّا كحيل ان يقبلهُ في جملة الرهبان المخلصيين. لكنَّ حضرة الرئيس تمنَّع عن قبولهِ ريثما تأتيهِ شهادة من

معلم ذمّته توقفهُ على حسن سلوكهِ فطمّنهُ الطالب بقولهِ: « لا تخف يا ابانا انني لست بقاتل ولا سارق ولم اقترف ذنباً وانما اتيت حبًّا بالله وخلاص نفسي » . ثم وردت على الاب العام رسائل من غبطة البطريرك يعلمهُ بحزن والدتهِ والحاحها على رجوعهِ لكنّ الشاب الفاضل لم يكفّ عن الجهاد في سبيل دعوتهِ بكلّ جرأة وثبات حتى فهم الرئيس انّ دعوة هذا الشاب من الله فلا يسوغ لهُ ان يردّ طلبتهُ ومن ثمّ قبلهُ بين المبتدئين ودعاه اغناطيوس وسلّمهُ لراهبَين فاضلين من اماثل رهبانهِ الاب يوسف غنّام والاب مكاريوس شامي ليخرّجاه في الآداب الرهبانيّة

*

وكأنّ المبتدئ الجديد اراد ان يحقق بالفعل معنى الاسم الذي دُعي بهِ فانّ قلبهُ اضطرم نارًا للكمال كالقديس اغناطيوس النوراني وكانت اوّل خطواتهِ في طريق الفضيلة كخطوات الجبابرة. وكان يسكن وقتئذٍ في دير المخلص ذلك البطريرك القديس اقليمنضوس بخوت الذي استعفى من البطركيّة وانقطع الى ممارسة اسمى الفضائل بين اخوتهِ الرهبان فاتّخذهُ الاخ اغناطيوس كمثالهِ وجعل يقتدي بهِ في اعمالهِ المبرورة وتقشّفاتهِ كلبس المسوح وجلد الجسد والتمنطق بزنانير الحديد والنوم على الحضيض والصوم الطويل المتواتر وهو لا يجد في كل ذلك مشقة لفرط حبهِ لصليب ربّهِ ولذلك كان كتب على جدار قلّايتهِ هذا البيت من ديوان الفارضيّ

اذا شئت ان تحيا سعيدًا فُتْ بهِ شهيدًا والّا فالغرام لهُ اهلُ

وما كانت هذه التقشفات سوى لوائح ظاهرة لفضائل باطنة اسمى وارضى في عين الله الذي ينظر الى القلب كالتواضع الرهباني والتجرُّد التامّ عن حطام الدنيا والتفاني في خدمة القريب ولا سيما ممارسة النذور الرهبانيّة التي ابرزهـا بعد نجازهِ لامتحانات الطلبة. وكل من عرفهُ يشهد لهُ انّهُ كان قدوة الرهبان اخوتهِ يرون فيهِ صورة حية لقوانينهم وعيشتهم النسكيّة

وقد شهد كل من عرفهُ انّهُ تعشق الفقر الرهباني الى حدّ بالغ ليس في أيام ترهّبهِ فقط بل طول حياتهِ فكان شظف العيش يأنف من كلّ تأنّق في الملبوس والمأكل والاثاث والسكنى ويرضى بما لا يكاد يقنع بهِ ابسط الرهبان. وربّما عدّهُ من رآه كاحدهم بل كأخملهم ان لم يعرفهُ

ومحبتهُ هذه للفقر كانت تحدو بهِ الى امور غريبة كلبس الملابس الرثّة المبتذلة والزهد التامّ بالمال الى حدّ انهُ لم يحفل بهِ مطلقاً الّا كوسيلة لعمل الخير فيصرفهُ اذ ذاك بيد سخيَّة ولمّا سيم مطراناً لم يحفظ لنفسهِ شيئاً ممّا كان لهُ بل ردَّهُ كلهُ للدير. وكذا فعل لمّا برح القدس الشريف ولمّا خرج من بعلبك فانهُ خرج كمسل المسيح بثوب واحد وحلّة التقديس. وقد ظهر تجرُّدهُ هذا مع اهلهِ فانهُ صمَّم آذانهُ دون صوت اللحم والدم فلم يُحسن اليهم بشيء من المال على مدى حياتهِ اذ كان يُعدّ المال الذي في يدهِ كوديعة اوتُمن عليها المشروعات الخيريَّة فقط. بل كان اذا اتى الى دمشق لم يعلم اهلهُ سلفاً وربَّما رحل منها دون وداعهم

وكانت محبتهُ للفقة اعظم وادقّ حتى انّ البعض عزوه الى شيء من الوسواس الّا انهُ كان لا يهمّهُ رضى العالم ولا يكترث لاقوالهم وغاية ما يقصد ان يحصل على راحة ضميرهِ فلذلك كان يتحاشى زيارة البيوت ولا يذهب الى حمّام بل لم يقبل استماع الاعترافات خوفاً ممّا يترتّب على المرشد من المسؤليَّة. وكان يصون حواسّهُ عن كل ما يمكنهُ ان يجلب لهُ قلق الفكر ولاسيما نظرهُ فانهُ كان حريصاً عليهِ كل الحرص مع النساء حتى مع اخواتهِ

اخبر احد رفقتهِ انّ اثنتين من اخواتهِ قدمتا مرَّة لزيارتهِ في دير حريصا فلم يرخص لهما بان تناما هناك. وكذا صنع مع خالتهِ مرَّة اخرى

اما طاعتهُ لرؤسائهِ فكانت كطاعة الطفل لابويهِ فمن ذلك انهُ كان يجاهر بوجوب الخضوع للكرسي الرسولي ويدافع علانية عن اوامره ويبكّت من يتردّد في الاذعان. وكان هو يتقدم الجميع في هذه الطاعة البنويَّة وكذلك السادة البطاركة الثلثة الذين عاش في زمانهم كانوا يجلّونهُ ويرونهُ طوع بنانهم كما اطرأ ايضاً رؤساء الرهبانيَّة المخلصيَّة انقيادهُ التام لمشيئتهم. وكان مع ذلك اذا رأى خللاً في تصرف الرؤساء لا يستنكف عن اعلان فكره بحميَّة وحريَّة تامَّة ليس تعظُّماً واستكباراً بل قياماً بالواجب

وممّا امتاز بهِ السيد جرمانوس روح تقوى عميقة كانت تلوح على شخصه في كل حركاتهِ وسكناتهِ فكان كل من يتقرَّب منهُ يشعر بانهُ حقيقة رجل الله. وكان الامر اظهر وأبين في اعماله الدينيَّة كالصلاة والقدّاس وزيارة القربان الاقدس

بالتواتر والتأمل بالروحيات وتعبُّدات الخاصة وخصوصاً لمريم البتول والدة الاله التي كان يلتجئ اليها في كل ضيقاته ويكرمها كأعز الامهات ويتلو كل يوم وردَيتها وذهب الى زيارة معبدها في لورد فكتب ما نظر وسمع هناك ليزيد الشرقيين ثقةً بها

وقد عرف الفقيد منذ اوائل دخوله في الرهبانيَّة انَّ الراهب في زماننا لا يستطيع ان يكتفي بالسيرة الصالحة فيلزمهُ ايضاً ان يتخرَّج في العلوم فبعد ابرازه النذور الرهبانية انقطع مدَّة بضع سنوات لتحصيل العلوم فدرس العربيَّة بفنونها ثم الحقها بالدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وكان احد معلميه الفيلسوف الغزيري يوسف حبيب باخوس الذي اثبت المشرق (٥ : ٤٥٢ و ٤٩٧) ترجمتهُ وكان احد زملائه الفضال افتيموس زلحف رئيس اساقفة صور

وعقيب دروسه رسمهُ السيد اكليمنضوس بحُوث شمَّاساً انجيليًّا ثم أرسل الى دمشق حيث درَّس بضعة اشهر في المدرسة البطريركيَّة التي كان انشأها غبطة البطريرك الطيب الذكر غريغوريوس يوسف وباشر هناك في الوعظ للرجال وذلك في سنة ١٨٧٤ لكنهُ آثر الابتعاد عن وطنه وطلب ان يعود الى دير المخلص فاجاب السيد البطريرك الى ملتمسه ثم انتدبهُ رئيسهُ الى تعليم الفلسفة لاخوته الرهبان فعلمها سنة او اكثر وفي اثر ذلك رقَّاه السيد بحُوث الى رتبة الكهنوت (١ فكانت هذه النعمة كمحرك جديد دفعهُ الى زيادة نشاط في حبه تعالى وخدمة القريب والى الانتماء بذلك الحبر الجليل والمثل الحي الذي كان يعطر باريج قداسته دير المخلص

ذلك كان الرجل الذي اختارهُ الله ليكون على منارة كنيسته مدَّة نحو اربعين سنة سراجاً وهَّاجاً ينتضي بنوره اهل اوطاننا . على انَّ فضائله هذه لم تنزع عنهُ بعض النقائص التي لا يخلو منها حتى كبار القديسين فيدعها الله في اوليائه لتكون مادَّة لجهادهم وموضوعاً لاتضاعهم . ولم تخفَ هذه الشوائب عن نظر السيد جرمانوس فكان ساعياً في كل حين بمقاومتها وضبطها تحت حكم ارادته الصالحة

١) هكذا افادنا جناب اخي السيد جرمانوس وهو يوافق ما ورد في اصداء الشرق (٨ : ٢٢٢) ونظنهُ الصواب . وفي مجلَّة المرَّة (ص ٧٢٥) انهُ سيم في دمشق قسًّا على يد غبطة السيد غريغوريوس يوسف

٣ الكاهن والاسقف

عرف البطريرك غريغوريوس يوسف اي كثر متع الله طائفتهُ الكريمة بالكاهن الجديد فما لبث ان استدعاه من الدير وارسلهُ الى مصر لخدمة رعيَّتها فكان فيها قدوة الكهنوت لكنَّ كراهتهُ لضوضاء العالم وتورُّعهُ الزائد من اسماع الاعترافات ومن التصرُّف في امور الرعيَّة حدیا بغبطتهِ الى ان يتخذهُ ككاتب لاسرارهِ مدَّة فابدى من الخبرة وحسن التدبير والتفاني في خدمة الجميع ما حبَّبهُ الى روساء طائفتهِ حتى انَّ السيد البطريرك عيَّنهُ بعد قليل كنائبهِ في القدس الشريف

كان هذا المنصب الجديد يقتضي رجلًا محنَّكاً بالمعاملات غيوراً ذا نزاهة تامَّة وعزم شديد لحرج المقام ووجود الماكسين للكتلكة. غير انَّ المندوب اليهِ وضع اتكالهُ على الله وباشر بالعمل ولم يقصر نظرهُ على ابناء رعيَّتهِ في القدس الشريف بل اخذ يطوف في القرى التابعة لهُ واهتمَّ هناك بتعزيز طائفتهِ في وجه معاديها. فكان يجمع قطيعهُ الصغير ويعنى بتعليمهِ وتهذيبهِ وتأسيسهِ في كل الفضائل المسيحيَّة فكان ذلك داعياً لارتداد عدد وافر من الروم المنفصلين الى حجر الكنيسة في القدس ورملة ونابلس وبعض القرى فحدَّث ولا حرج بما اصابهُ من جرَّاء ذلك من المشاقّ والاتعاب لغضب روساء المنفصلين عليهِ. لكنهُ لم يكفَّ عن العمل بل بقي مدافعاً عن حريَّة المرتدّين وحقوقهم فكان هو الفائز في هذا النزاع بل اقرَّ الخصوم بفضلهِ واعتدال خطَّتهِ وجازاه السيد البطريرك غريغوريوس بترقيتهِ الى رتبة الارشمندريت

وقد خلف المرحوم مدَّة السبع السنوات التي قضاها في اورشليم ذكرًا طيباً بما انشأهُ هناك من الابنية اخصها كنيسة القديسة فيرونيكا حيث يجعل التقليد النقاء السيد المسيح بهذه المرأة الصالحة وهو صاعد الى الجلجثة حاملًا صليبهُ على منكبيهِ فاشترى الاب اغناطيوس ذلك المكان واذ كان اتقن في تلك الاثناء اللغة الافرنسية سافر باذن الرؤساء الى فرنسة ليجمع صدقات المؤمنين ويبني هناك لاكرام هذا السرّ كنيسة جميلة فتكلَّلت مساعيه بالنجاح وان لم يتمّ البناء الَّا بعدهُ بمدَّة

ومما يذكرهُ لهُ بالشكر آباء مدرسة الصلاحيَّة انَّهم لما اتوا الى القدس لانشاء مدرسة اكليريكيَّة لطائفة الروم الكاثوليك وجدوا في الاب اغناطيوس معتمَّد احسن

منشط فلم يضنّ بمساعدتهم المادية والادبيَّة طاقة استطاعتهِ فاضاف الطلبة في منزله مدَّةً وعلَّمهم الطقوس وسمع اعترافاتهم ولم يزل بقيَّة حياتهِ من اصدق اعضاد هذا المشروع الخطير حتى لم يبرح عن ذكرهِ وشفاههِ قبل لفظ انفاسهِ الاخيرة

واذ فرغ وقتئذٍ كرسي بعلبك بوفاة السيد باسيليوس ناصر رأى غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف ان يكل الى نائبهِ في القدس تدبير تلك الابرشيَّة ورغماً عن تمنُّعهِ الطويل سامهُ مطراناً عليها في ١٦ آذار سنة ١٨٨٦ وسُمي جرمانوس. فتولَّى المطران الجديد عملهُ بما عُرف به من الهمة العليا متذكرًا قول الرسول بانَّ الاسقف قلدهُ الروح القدس وعاية كنيستهِ التي فداها الربُّ بدمهِ. فخدم ابرشيَّة بعلبك مدَّة ثماني سنوات بغيرةٍ لا تعرف الملل فكان قاصدًا ان يجعلها في مقدَّمات ابرشيَّات طائفتهِ فافرغ لذلك كنانة جهدهِ واخذ يهتمّ بتنظيم الاوقاف واعداد لوازم كنيسة جديدة بدلًا من القديمة التي كانت جدرانها تتداعى ولا تفي لضيقها بحاجات المؤمنين فنال بعض مرغوبهِ ولا شكَّ انهُ كان حقَّق كل امانيه بالفعل لولا ما اعترضهُ في سبيلهِ من العوائق بمساعي بعض ذوي الغايات ولم تزل معاكساتهم تتعقبهُ وتقفُ في ساعدهِ حتى رأى انهُ لا يستطيع ان يقوم بمهمتهِ كما تقضي بها ذمَّتهُ فاستعفى لئلَّا يطالبهُ الله عن ضعفهِ في الدفاع عن حقوق الكنيسة. فقبل السيد البطريرك استعفاءهُ بعد مراجعة بقيَّة الاساقفة وسمَّاه اسقف اللاذقيَّة شرفاً وذلك سنة ١٨٩٤

٣ الواعظ والكاتب

لم يجد السيد جرمانوس في اعتزالهِ لتدبير ابرشيته سبباً لان يُخلد الى الراحة بل اراد على خلاف ذلك ان يخدم النفوس خدمة اوسع واسمى دون ان يرتبك البتة بالشؤون الزمنية. وكان اذا دُعي للاشتراك في صوالح طائفتهِ العموميَّة اجاب الى ذلك كما فعل في انتخاب السيدين البطريركين بطرس جريجري وكيرلس جحا وفي غير ذلك ملازماً كما في السابق خطَّتهُ من تقديم مجد الله واصلاح الكنيسة على كل الغايات البشريَّة لا يأخذه في عمله لومة لائم. لكنهُ في ما عدا تلك الظروف كان يؤثر خدمة القريب بطرائق اخرى اعني بلسانهِ وقلمهِ

كان السيد جرمانوس مزداناً بكل صفات الخطيب المصقع سواء كان من

جهة سحنائهِ ووسامة هيئتهِ وشدَّة صوتهِ او من جهة طلاقة لسانهِ وعارضتهِ وفصاحة لفظه وبلاغة معانيهِ . وكان اذا تكلم حقق كلمة الانجيل انَّ لسانهُ يتدفَّق من ملءِ قلبهِ فينصت اليهِ السامع بكل ارتياح ويتأثر من كلامهِ . وكان لا يردّ طلبة داعٍ من الاساقفة والكهنة اذا استدعوهُ الى رعاياهم للوعظ وللرياضات الروحيَّة وقلَّ ما وُجد في هذه السنين الاخيرة اسقف مثلهُ بلغ في ذلك مبلغهُ . وكانت الآثار الناتجة عن ارشاداتهِ وافرة حتى لا يكاد يبقى بعد سماعهِ من يتأخر عن مواظبة الاسرار المقدَّسة

وكان اذا انتهى من المواعظ والرياضات أمسك قلمهُ ليواصل خدمتهُ للنفوس فكان القلم في يده كآلة قديرة على نشر التقى والعبادة والتعاليم الصالحة لتبلغ كتاباتهُ حيث لم يبلغ صوتهُ . وصار لتآليفهِ شهرة كبيرة اذ لم يدَّخر وسعاً في اخراجها على صورة تلذّ وتفيد معاً . ومن امعن النظر في انشائهِ وجدهُ سهلاً منسجماً بعيداً من كل تعقيد وركاكة تظهر فيهِ مسحة من الطلاوة والمتانة المتزجتين بحسن السبك والاتساق

وكتابات السيد معقد على ثلاثة اقسام منها طقسيَّة وتقويَّة ومنها خطابية . ومنها ادبية ولكل قسم من المزايا ما يختصّ بهِ

وقد باشر بالكتب الطقسية لما رأى من حاجة ابناء طائفتهِ اليها فنقح اوَّلاً كتاب الميناون اذ كان ناقصاً بطريركيًّا في القدس وسعى بطبعهِ سنة ١٨٨٣ ثم نشر في مطبعتنا بعد ذلك سنة ١٨٩٧ مختصرهُ للاعياد المتازة وكذلك صحَّح عبارة كتاب السواعي وزاد عليهِ عدَّة فوائد وكرَّر طبعهُ غير مرَّة . ولهُ في هذا المعنى كتاب رفيق العابد الجامع لكل الفرائض الروحية لذوي الطقس اليوناني وكتاب تفسير القدَّاس وخدمة القصح الجليل ونشائد روحيَّة . ومما يلحق بهذا الباب كتابهُ تحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني ابدى فيهِ رأيهُ في عدَّة شؤون طقسيَّة بيَّن خللها ووجوب اصلاحها وعدم علاقتها بجوهر الطقس

وكتبهُ الخطابيَّة ليست باقلّ شأناً من كتبهِ الطقسيَّة والتقويَّة طُبع منها الكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام وهي تشتمل على مواعظ مختلفة منها ادبيَّة ومنها تعليميَّة وبعضها اجتماعيَّة وكلها مكتوبة بلهجة حيَّة وعبارة رائقة فكثر عليها الاقبال واستحبَّها الادباء فضلاً عن اهل التقى

اما كتبهُ الادبيَّة فاوفر واكثر تفنُّناً منها تاريخيَّـة محضة كلؤلؤ وفتاتها ومنها تاريخيَّة في قالب خيالي كرحلة الفيلسوف الروماني المتضمنة لترجمة السيد المسيح على صورة لطيفة وكهسناء بيروت وهي رواية خياليَّـة مدارها على حادثة واقعيَّة. ولهُ كتاب السلوة في جزءين ضمَّنهُ عدَّة روايات لطيفة ونوادر مستملحة وكتاب ذخيرة الاصفرين وهو مجموع من ائمة الكتبة الاقدمين والمحدثين ضبطهُ بالشكل الكامل

وللسيد جرمانوس فصول ادبيَّة متعدّدة ظهر قسم منها في مجلة المسرة التي دخلت آخرًا في سنتها الثالثة وكان هو ابن مجدتها والساعي في نشرها وتحسينها بعد ان جهَّز لها مطبعة تامَّة الادوات جعلها تحت نظرهِ على قمَّة لبنان في دير مرسليهِ البولسيين. بل كان يعدُّ لها في اوقات الفراغ فصولًا بديعة يودعها المغازي اللطيفة في صورة شريفة ولا تزال المجلة تبهج بها القرَّاء بعد وفاة كاتبها النحرير

٤ الرسول

رأيت في ما سبق انَّ صاحب الترجمة كان يتلهَّب غيرةً في نشر التعاليم الخلاصيَّة بالوعظ والقلم كأنَّ لسان حالهِ يردّد قول بولس الرسول: الويل لي ان لم أُبشر. والحقّ يقال انَّهُ قام بهذه الرسالة احسن قيـام. لكنَّ حميَّتهُ الاسقفيَّة لم تكتفِ بذلك فكان يسمع صوتاً في قلبهِ يحضُّهُ على انشاء فئة رسولية تنوب عنهُ في انحاء الوطن وتواصل عملهُ بعد وفاتهِ بين ابنـاء طائفتهِ. وكان يجد قدوة في ذلك بالرهبانيات الاوربيَّة المنتشرة في الشام ومصر والعراق كالآباء الغازاريين والكبوشيين واليسوعيين الذين تراهم متحفزين لاعمال التبشير في اي زمن كان. بل وجد من سبقهُ الى مثل هذا الفكر في الملة المارونيَّة حيث ظهر قبل ٣٠ سنة الطيب الذكر السيد حنَّا حبيب فانشأ جماعة المرسلين الكريميين الذين ادَّوا خدماً لا تُعدّ لاهل طائفتهم في انحاء سوريَّة فرأى السيد جرمانوس ان يتحف طائفـة الروم الكاثوليكيَّة بجمعيَّة على شبهها يقتدون بتلامذة السيد المسيح فيتنقلون في المدن والقرى للتبشير بملكوت الله دون ان يثبطهم في ذلك عائق ما

ولم يشأ السيد جرمانوس ان تبقى هـذه النيَّات الصالحة مدفونة في اعماق القلب بل جعل يسعى في اخراجها الى حيز العمل ويعرض الامر لكل من يمكنهُ ان يسعفهُ في انجازهِ. وكان اوَّل من اثنى على قصدهِ وحضَّهُ على الاسراع في مباشرتهِ قداسة

الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يوم مثل لديهِ في رومية سنة ١٨٩٦ واستمدَّ بركتهُ لهذا المشروع وكذا فعل المجمع المقدَّس على مثال نائب المسيح. ولم يكن البطريرك غريغوريوس اقلَّ تنشيطاً للعمل كما صادق عليهِ البطريرك بطرس جريجيري بطيب الخاطر على انَّ رجل الله لم يرضَ بابتناء هذا البرج الانجيلي حتى يتأكد انَّ بناءهُ يكون متيناً فلذلك بقي يعدّ لهُ المواد الى سنة ١٩٠٣ وكانهُ تذكَّر انَّ القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة ارتبط بالنذور مع رفقتهِ على جبل مونمرتر في باريس يوم عيد انتقال العذراء فكذلك باشر السيد جرمانوس بانشاء جمعيَّتهِ الرسوليَّة في اليوم عينهِ حيث ابرز نذورهم بين يديهِ ثلاثة من ابناء طائفتهِ المتخرجين في مدرسة الصلاحيَّة واطلق عليهم اسم البولسيين ليكون القديس بولس شفيعهم الخاص ومثال غيرتهم المتقدة في خلاص القريب واعمال التبشير بالوعظ والكتابة. ولا حاجة ان نذكر هنا ما توارد عليهِ بنسبة هذه الخطة من رسائل التهنئة والتشجيع من الكرسي الرسولي والمجمع المقدَّس ومن غبطة البطريرك كيرلس الثامن الكلي الطوبى وبقيَّة المطارين

وكنَّا نودّ ان نصف هنا ما اتت الجمعيَّة البولسيَّة من الاعمال المشكورة في هذا الوقت القليل الذي مرَّ على انشائها الَّا ان ضيق المجال يقضي علينا بالتنويه بهِ فقط مؤملين وجود فرصة اخرى للاتساع في ذلك

وما يُقال بالاجمال انَّ حبَّة الخردل اخذت تنمو وتمدّ اغصانها الروحية الى البعيد فانَّ المرسلين البولسيين قد تجوَّلوا في هذه المدَّة في معظم ابرشيَّات طائفتهم حتى حوران وما وراء الاردنّ فاقاموا في مدَّة اقلّ من عشر سنين ١٦٣ رسالة او رياضة وحيثما مرُّوا لم يسمع غير صوت الثناء العاطر على اعمالهم بارك الله مساعيهم

وكانَّ السيد جرمانوس اذ رأى جمعيَّتهُ قد تأصلت لم يبقَ لهُ مرغوب على الارض فكرَّر قول سمعان الشيخ: «أطلق يا رب عبدك بسلام لأنَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك» فاراد الله ان يُسرع الى مجازاتهِ على كل ما صنع لمجدهِ عزَّ وجلَّ وخير القريب فنقلهُ الى نعيم ابرارهِ في ١٣ شباط المنصرم بعد ان مخَّصهُ بضعة ايام في بودقة الآلام المبرحة التي قاساها بالصبر الجميل وهو لم يَفُهْ بغير كلمة الشكر لهُ تعالى على كل آلامهِ ويَعدُّ كالرسول موتهُ كانحلال اغلالهِ من حبس الجسد حتى طارت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السرمديَّة اجزل الله ثوابهُ وطيَّب ثراهُ